

إسلاميات

مراتب المصالح وعلاقتها بالسياسة

د. تيسير إبراهيم

أطبق علماء مقاصد الشريعة على ترتيب المصالح؛ بحيث أنهم جعلوا الضروريات في رأس المصالح التي يجب الاعتناء بها، وعنوا بالضروريات تلك المصالح التي لا غنى للناس عنها، ويترتب على فواتها الفساد، والهرج، وفوت النجاة، وهذه المصالح ترجع إلى حفظ الدين، والنفس، والعقل، والمال، والعرض، أو ما يعرف بالكليات الخمس، والتي لم تغفل شرعة من الشرائع عن رعايتها. ثم تأتي بعد ذلك المصالح الحاجية وعنوا بها تلك المصالح التي تقتضيها سهولة الحياة، أو ما يؤدي فواتها إلى حرج شديد من غير خوف على فوات ما سبق من المصالح الضرورية، ومثلوا لها بالترخص في تناول الطيبات، والتوسع في المعاملات المشروعة نحو السلم، والمساقاة وغيرها.

ثم تأتي المصالح التحسينية وهي تلك المصالح الجارية على محاسن العادات، ومكارم الأخلاق، والتي لا يؤدي تركها غالباً إلى الضيق، والمشقة، ومثالها الطهارة، وستر العورة، وآداب الأكل وسننه، وبعض شروط الولاة، وغير ذلك.

ويظهر أثر هذا الترتيب عند التعارض، فإذا تعارضت المصالح الضرورية مع المصالح الحاجية، أو التحسينية قدمت -بلا ريب- المصالح الضرورية، فلو أن إنساناً تعرض للهلاك لو لم يأكل الميتة فإنه يباح له الأكل منها؛ لأن مصلحة الحفاظ على النفس -وهي من الضروريات- مقدمة على مصلحة التنزه عن أكل لحم الميتة -وهي من التحسينيات-، وهكذا عند تشابك، وتعارض المصالح تقدم المصلحة الأعلى في وجوب الرعاية.

وهذا الميزان يعمل بدقة بالغة في تشريعات الإسلام كلها، وممن يجب عليهم أن ينتبهوا لهذا الترتيب الساسية؛ إذ السياسة ميدان من الميادين التي يجب أن تظهر فيه فلسفة التشريع، ومقاصده، فالحاكم يقوم بدور وظيفي يتطلب منه العمل على إصلاح أمور العباد.

فعلى سبيل المثال من يتولى مهمة التواجد على المعبر، وما هي صفاته؟ يعد مصلحة تصنف ضمن المصالح التحسينية، أما أن يكون المعبر مفتوحاً بحيث يسمح للناس بالخروج للعلاج، والعمل، والدراسة فمصلحة أقل ما يقال فيها إنها حاجية، وقد تصل إلى حد الضروري أحياناً؛ لأنها تحفظ على الناس حياتهم في بعض الأحيان، وترفع عنهم الحرج، والمشقة البالغة دائماً.

فالذي يجب أن يقدم في الرعاية مصلحة بقاء المعبر مفتوحاً، وأما مصلحة من يتولى مهمة التواجد على المعبر فيجب أن تتراجع لصالح المصلحة الأعلى منها، وهكذا في كل ما يتعلق بالسياسة، وإدارة شؤون الدولة.

التمني محمود والحسد علاجه حبس العائن

غزة / نسمة حمتمو

كثيراً ما ننظر إلى النعم في يد غيرنا، وندمنا لهم الخير فيها، وربما نغبطهم عليها، ولا نكره لهم الخير أبداً، ولكننا أحياناً في غفلة منا قد نحسد هؤلاء الناس دون علمنا، فكيف تقي قلبك من الحسد ليكون صافياً مخلصاً لله؟ وكيف يمكن الوقاية من الحسد؟ هذا الموضوع يتحدث فيه الشيخ الداعية عبد الباري خلة:

العائن ومنعه من مخالطة الناس، وكتمان الأمور عن الحاسد؛ لقوله (صلى الله عليه وسلم): «استعينوا على إنجاح حوائجكم بالكتمان، فإن كل ذي نعمة محسود»، واجتناب الحاسد والبعد عنه. ويقول عن وسائل علاج الحاسد لنفسه: «قل أن ينفع الحاسد دواء، ولا نقول: إنه مئوس من شفائه؛ لأنه لا يأس من رحمة الله، ولكن من الصعب جداً أن هذا الشخص الذي يدمن هذه الخاصية الخبيثة يوجد له دواء؛ لأنه مترسخ فيه داء الجهل والظلم، وليس يشكو علة سوى تمنى زوال النعمة عن العباد، إلا أن يشاء الله (سبحانه وتعالى)».

ويضيف: «فإن كان الحاسد ذا فهم وذا عقل فدواؤه أن يقمع أسباب الحسد من داخله: الكبر، أو عزة النفس، أو غيرهما من الأسباب التي ذكرناها»، مستشهداً بأبيات للإمام ابن المبارك (رحمه الله تعالى): «كل العداوة قد ترجى إمامتها... إلا عداوة من عاداك من حسد، فإن في القلب منها عقدة عقدت... وليس يفتحها راق إلى الأبد، إلا الإله فإن يرحم فحل به... وإن أباه فلا ترجوه من أحد».

ويتابع حديثه: «فلا يرفع هذا الداء إلا برحمة الله (سبحانه وتعالى)، سنل بعضهم: «أي أعدائك لا تحب أن يعود إليك صديقاً؟» [أي: أن يتحول بعد ذلك صديقاً؟]، فقال: (الحاسد الذي لا يرد به إلى مودتي إلا زوال نعمتي)».

أدوية نافعة

ويؤكد أنه من وسائل علاج الحاسد لنفسه مداواة نفسه بأدوية نافعة، وإن كانت مرة، ومنه أن ينظر إلى من هو أسفل منه؛ لقوله (صلى الله عليه وسلم): «انظروا إلى من أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم؛ فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله».

ومن وسائل العلاج بحسب قول خلة الرضا بالقضاء والقدر، وأن يبرك إذا رأى على أخيه ما يعجبه، وأن يعلم أن الإمساك عن الشر صدقة، وأن الحسد يضره في الدين والدنيا، وأن يصف نفسه بقبض ما يقتضيه الحسد، والزهد في الدنيا.

ويمضي بالقول: «ينبغي أن ينقي المسلم قلبه من الحسد؛ فإنه يقسي القلب ويضعف الإيمان ويمحل البدن، ولا يصل هذا الحاسد إلى ما يصبو إليه؛ لأن كل شيء بقدر الله؛ فليعود نفسه القناعة وحب الخير للأخرين».

زوال النعمة

يعرف خلة الحسد بأنه تمنى زوال النعمة عن المنعم عليه، ولو لم تنتقل إلى الحاسد، وهو كذلك تمنى الشخص زوال النعمة عن المنعم عليه وحصوله عليها، وتمنى حصوله على مثل النعمة التي عند المنعم عليه حتى لا يحصل التفاوت بينهما، فإذا لم يستطع حصوله عليها تمنى زوالها عنه. ويكمل تعريفه عن الحسد بالقول: «حسد الغبطة... ويسمى حسداً مجازاً هو تمنى حصوله على مثل النعمة التي عند المنعم عليه من غير أن تزول عنه».

ويستشهد خلة بقول رسولنا الكريم (صلى الله عليه وسلم): «لا حسد إلا في اثنتين رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه أثناء الليل والنهار، فسمعه جاز له فقال: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل، ورجل آتاه الله مالاً فهو يهلكه في الحق، فقال رجل: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل».

تمن محمود

ويلفت الشيخ الداعية الانتباه إلى أن هذا التمني محمود؛ لأنه لا يسخط صاحبه على الله، ولا يعترض على قدر الله، مبيناً أنه من أسباب الحسد العداوة والبغضاء، والكبر، وحب الرياسة وطلب الجاه للنفس، وخبث النفس وشحها بالخير لعباد الله (تعالى)، ومن صفات الحاسد كثرة الشكوى والبخل.

وشروط العلاج من العين والحسد بحسب إفادة خلة أن يكون العلاج بكلام الله وأسمائه وصفاته وسنة رسوله، وتكون الرقية بكلام مفهوم، أن تكون باللسان العربي (اللغة العربية) أي لا تكون بكلمات غير مفهومة، وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بقدرته الله (سبحانه وتعالى)، وأن يكون على ثقة بالله وبالشفاء بقدرته الله (سبحانه وتعالى).

وبخصوص الوقاية من الحسد يؤكد أهمية الاستعاذة من شر الحاسد، وتقوى الله (عز وجل)، والصبر على الحاسد والعفو عنه، والتوكل على الله، وألا يخاف المحسود من الحاسد، والإخلاص لله، والتوبة من الذنوب، والإحسان للحاسد، وصحة العقيدة، وتحذير الحاسد (في حال معرفته).

وسائل الوقاية

أما عن وسائل الوقاية من الحسد قبل وقوعه فيشير خلة إلى أهمية حبس

أمانة الأمة (7) الصحابي عثمان بن عفان رضي الله عنه

د. أحمد إدريس عودة

أستاذ الحديث الشريف وعلومه المساعد

كان عثمان رضي الله عنه أحد الستة الذين رشحهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه لخلافته، وبايعه الصحابة رضي الله عنهم فأصبح ثالث الخلفاء الراشدين، واستمرت خلافته نحو اثني عشر عاماً، أنجز خلالها إنجازات كثيرة، منها: نسخ القرآن الكريم وتوزيعه على الأمصار، وتوسيع المسجد الحرام، وإنشاء أول أسطول إسلامي لحماية الشواطئ الإسلامية من هجمات البيزنطيين، وامتداد الفتوحات الإسلامية.

وفي سنة (35هـ) قتل عثمان رضي الله عنه، وكان مقتله بداية الفتنة بين المسلمين إلى يومنا هذا.

رضي الله تعالى عن عثمان وعن صحابة النبي صلى الله عليه وسلم والتابعين.

عثمان بن عفان بن أبي العاص القرظي الأموي، أبو عمرو، وأبو عبد الله، أحد السابقين الأولين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، هو صاحب الهجرتين، وزوج ابنتين، تزوج رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة، ولما توفيت تزوج أختها أم كلثوم، وسُمي من يومها بذي النورين.

جاهد رضي الله عنه بماله ونفسه، فاشترى بئر رومة باثني عشر ألف درهم، وجعلها للمسلمين في المدينة، وجهز جيش العسرة في غزوة تبوك في العام التاسع من الهجرة، وشهد المشاهد كلها مع النبي صلى الله عليه وسلم، عدا غزوة بدر، فقد تخلف عنها بأمر من النبي صلى الله عليه وسلم.

وردت في فضله رضي الله عنه أحاديث كثيرة، منها: قوله صلى الله عليه وسلم: «ألا أسئجي من رجل تستجي منه الملائكة؟» [صحيح مسلم].

إذا أطعمت المعبود، ورضيت بالموجود، وسلوت عن المفقود، فقد نلت المقصود وأدركت كل مطلب محمود.

وصية اليوم

عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، «صلى على جنازة، ثم أتى قبر الميت، فحشى عليه من قبل رأسه ثلاثاً».

حديث شريف